

كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة

الحب المتجسد

مع قصص من الحياة

القس
يوحنا باقى

اسم الكتاب : الحب المتجسد

المؤلف : القس/ يوحنا باقى

الناشر : كنيسة مارمرقس - مصر الجديدة

الطبعة : الأولى يناير 2004

المطبعة : شركة أفست للطباعة 4901390

الجمع التصويرى : جى سى سنتر-مصر الجديدة ت: 6337124

رقم الإيداع بدار الكتب : 2003/19723

الترقيم الدولى : 977-5836-11-5



قداسة البابا المعظم
الأنبا شنودة الثالث
بابا الاسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية ال117

مقدمة

إن كان الإنسان قد عرف الله فى العهد القديم ، وأمن أنه الإله الوحيد وكل الآلهة الأخرى شيطانية باطلة ، وهو أيضاً القوة الوحيدة التى خلقت العالم وتضبطه ، فقد إكتشف فى العهد الجديد أبعاداً تفوق العقل عن شخص الله خاصة وأن الله يريد أن يُعرف نفسه للإنسان حتى أنه سعى لإظهار نفسه بالطريقة المناسبة لإمكانيات الإنسان الضعيفة ، فتجسد ليصبح مُعلنًا بشكل مادى أمام الإنسان فيعرفه ويحبه ويلتصق به .

و التجسد هو الوسيلة الوحيدة ليعرف الإنسان الله عن قرب " الله لم يره أحد قط . الإبن الوحيد الذى فى حضن الآب هو خبر " (يو 1 : 18) وقد ظهر صفات كثيرة لله فى تجسده ، من أهمها محبته للبشر التى لم يكن الإنسان يدرك أعماقها.

وقد أردنا فى هذا الكتاب الكشف عن بعض أبعاد هذه المحبة الإلهية قدر ما تحتمل بشريتنا المحدودة. ومن ناحية أخرى فإن لإيماننا بهذا الحب الإلهى بغير من طبيعتنا ويدفعنا بمحبة فى كل الإتجاهات حتى تصير حياتنا كلها حب, وهذه هى وصية إلهنا التى تميزنا عن باقى العالم ويلحظها الكل كسمة أساسية فىنا كما قال: "بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إن كان لكم حب بعضاً بعضاً" (يو 13: 35)

وهكذا نستطيع أن نفرح بمسيحنا المتجسد عملياً فى حياتنا ونحيا له متمتعين بعمل روحه القدوس فىنا.

إن الحب هو أوضح صفات الله حتى إنه نُقِبَ فى الكتاب المقدس "الله محبة" (1يو 4 : 8) ، وعندما تجسد ظهرت أيضاً هذه الصفة أول الفضائل بأشكال كثيرة ونواحى متعددة, نعلن بعضها فى هذا الكتاب ليتأمل فيها القارئ العزيز طوال حياته فيكشف له الله المزيد بحسب إشتياقه وطلبه .

وحتى تكون كلمات هذا الكتاب حافزاً للتطبيق في حياتنا
العملية ، دعنا فصوله بقصص من الحياة تُظهر محبة الله المتجسد
نحو البشرية المحتاجة له .

نشكر الله الذى أنعم باستكمال هذا الكتاب وخروجه بين يديك
أيها القارئ العزيز. ونشكر كل من تعب في إخراجة بشفاعة القديسة
الطاهرة مريم العذراء و الشهيد العظيم مارمرقس الرسول ،
وبصلوات أبينا المكرم البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث أدام الله
حياته وحفظه على كرسيه سنيماً عديدة وأزمنة سالمة هادئة مديدة.

عيد الميلاد المجيد

2004 /1/ 17

القس يوحنا باقى

الفصل الأول

الله يشعر بنا

الله يشعر بالإنسان لأنه صانعه و العالم بخفايا قلبه. فقد خلقه ليحيا فى صداقة معه, وعندما سقط ورفض الله لم تفتر محبته من نحوه فسعى إليه وناداه قائلاً " فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت " (تك3: 9) ، ولما أصر على عدم التوبة ، ظل الله يحبه فوعده بالخلاص بأن نسل المرأة يسحق رأس الحية, أى أن المسيح المتجسد يسحق الشيطان على الصليب ويقبده (تك3: 15)

فالله يشعر بمعاناة الإنسان بعد سقوطه ويسعى لخلصه، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتجسده لموت عنا ويفدينا.

بل إن محبة الله لنا تسبق خلقتنا، فنحن فى قلبه وإهتمامه

حتى قبل أن يخلقنا فهو " إختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة" (أف 1: 4) .

إن إشتغل كل الناس عنا فعلى الأقل يبقى شخص واحد يشعر بنا هو الله, الذى قدم دليلاً واضحاً على إحساسه بمعاناتنا عندما تجسد, مقترباً إلينا ليرفع عنا حكم الموت, ويجدد طبيعتنا لنحيا من جديد فيه.

وهو يشعر بنا حتى لو نسيناه أو رفضناه, لأنه أب لا يمكن أن ينسى أولاده, فهو قد وعد معبراً عن مشاعره نحونا قائلاً " هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم إبن بطنها . حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك" (إش 49 : 15) . بل حتى وإن أنكرناه وكنا غير أمناء معه فلن يستطيع أن يتراجع عن محبته ويظل يطلب خلاصنا لعلنا نتوب. فقد تجسد لأجل خطاة و أشرار يرفضونه, وهو يقول " إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً لا يقدر أن ينكر نفسه" (2تى 2: 13)

إلهنا له قلب رقيق مملوء بالحنان ، يهتم بنا أكثر مما نهتم
نحن بأنفسنا فيقول "وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة
" (مت 10: 30) .

والشيطان يحاول الإساءة إلى علاقتنا بالله, فيصفه بالقسوة أو
يشككنا في عنايته وإنشغاله عنا بدعوى ضعفنا وحقارتنا عن أن
يهتم الله بنا ويوهمنا أنه لكثرة خطايانا يغضب علينا الله ويرفضنا.
ويقصد بهذا إبعادنا عنه, فنحرم أنفسنا من حنانه وعنايته الفائقة .
لكن الله في حنانه يقول لقديسه الأنبا بولا كفاك تعباً يا حبيبي
بولا. فهو يقدر جهاد أولاده.

إنه يشعر بك في جلوسك وقيامك مع معاناتك إذا تركت الجميع ،
أو ضاقت بك الأمور ولم تجد من يسندك ، فيعلن لك محبته
وإحساسه بك قائلاً إني أتيت متجسداً من أجلك حتى لا تكون وحدك ،
وإن كنت قد تركتني لأجل خطاياك فأنا لا أتركك لأجل محبتى. أنت
فضلت مغزيات العالم في الثمرة الحلوة المحرمة بالجنة ، أما أنا

فأفضلك عن كل مجدى السماوى ،وأتنازل متجسداً لأكون معك .

إنه إحساس عجيب يفوق العقل, يعوضك عن كل شئ عندما
ترتمى فى أحضانه, فيمسح دموعك ويشبعك ولا تعود تستجدى عطف
العالم وحبه الزائل.

كانت هذه الأخت المباركة تعيش مع والديها بعد زواج أختها.
وكانت مرتبطة بالكنيسة و الخدمة, ومرت الأيام هادئة و الوالدان
مشغولان بتأخر زواج إبنتيهما ، ولكن حدث مالم يكن فى الحسبان .
فبعد مرض قليل إنتقل الوالد وساد البيت حزن شديد, ثم حدث ما هو
أصعب فبعد شهور قليلة تأثرت صحة الأم ، وإنتقلت هى أيضاً من
هذه الحياة.

تعبت هذه الأخت المباركة وإتف حولها الأقارب والأحباء
يساندونها فى معاناتها التى شعرت أنها أثقل من إحتمالها . وخلال
شهور قليلة ، إنشغل كل من حولها بأعباء الحياة حتى أختها أيضاً.

وبدأت تشعر بالوحدة القاسية كلما دخلت بيتها عند رجوعها من العمل .

ظلت متمسكة بالله والكنيسة, ولكن هذا لك يمنع مهاجمة الإكتئاب لها الذى كانت تقاومه بشدة, ولكنه كان كالكابوس الذى لا يريد أن يتحرك من فوق صدرها.

وفى أحد الأيام وهى راجعة من الكنيسة إلى بيتها ووضعت المفتاح فى باب شقتها, لاحظت أن الباب مغلق رغم تحرك المفتاح داخل الباب بسهولة و شعرت أنه مغلق من الداخل بالتريباس, فتعجبت جداً كيف حدث هذا. وإستعانت بالجيران الذين ساعدوها على كسر الباب, وعند دخولهم الشقة لاحظوا كل شئ كما هو. ولكن عند دخولها حجرتها فوجئت بمحتويات دولابها ملقاة على الأرض. فصرخت "حرامى حرامى" ولاحظ جيرانها المرافقون لها أن اللص دخل غالباً من إحدى النوافذ وبفحص الشقة, إكتشفت سرقة بعض الحلى الذهبية, أما باقى محتويات الشقة فكانت فى مكانها لم تمتد إليها يدا اللص.

أبلغت قسم الشرطة الذى عاين المكان وكتب محضراً بالسرقة ،
وأصلحت باب شقتها و إنصرف الجيران, وجلست وحيدة و الحزن
الشديد يغطيها.

جلست فترة فى مكانها و دموعها تنساب , ولكنها لم تحتمل
فقامت تصرخ لله وتعاتبه بشدة قائلة:

ألا يكفى انك أخذت أبى وأمى وتركتنى بلا زواج, أى يكفى ما
أعانيه كل يوم من الوحدة و الإكتئاب. كيف تترك هذا اللص يقتحم
شقتى؟

أين أذهب ، فإن مكان راحتى لم يعد آمناً. إنى لا أطيق الحياة ،
لماذا تتركنى و أنا إبنك ؟ ...

وإستمرت فى صلواتها لاتعرف كم من الزمن قد مر، وصراخها
ودموعها لا ينقطعان وسجدت على الأرض كأنها تنشبث بقدمى
مسيحها ، طالبةً منه أن يتدخل فى لجابة لا تنقطع ، حتى لم يحتمل
جسدها الضعيف فسقطت على الأرض فى إعياء شديد.

وفيما هي في هذه الحالة الصعبة, إشتمت رائحة غريبة فقالت: إنها رائحة بخور... هل هذا حقيقي؟

وقامت منتصبه تتحرك في الحجرة, بل في كل البيت الذي إمتلأ بهذه الرائحة الزكية, ولم تستطيع أن تمسك عينيها من دموع الفرح وهي تحدث نفسها:

هل تسمعني يارب؟

هل هكذا إستجابتك سريعة؟

هل أنت معي؟ أنا أشعر بك تحتضني ببخورك العطر.

وتجدد الرجاء في داخلها, أن الله معها ولم يبتعد كما ظنت. وفي نشاط جذبت كتابها المقدس لتقرأ, و العجيب أن في الأصحاح الذي تقرأه تبعاً لقراءاتها المتسلسلة, فوجئت بهذه الآية "وها أنا معكم كل الأيام وإلى أنقضاء الدهر" (مت 28: 20).

قامت لتصلي صلاة مختلفة تماماً عن الأولى. صلاة شكر وتسبيح لله الذي لا يترك أولاده أبداً.

وبعد إنتهاء الصلاة, كان الفجر قد بدأ يطل على العالم. شعرت بحاجتها للتناول من الأسرار المقدسة, فتركت عملها فى ذلك اليوم وذهبت إلى الكنيسة بنشاط لتحضر القداس وتناول, بعد أن قصت على أبيها الروحى كل ما حدث, فشجعها وسندها بكلماته وصلواته. واصلت حياتها ولكن بنشاط جديد, بعد أن إرتفع برقع الحزن عنها. فقد كانت تشعر بيد الله المساندة لكل خطواتها. و الغريب أن مشاعرنا نحو اللص تحولت من الضيق لما فعله إلى التفكير فيما دفعه لذلك؟ فقالت لعله يعانى من الحرمان أو رفض المجتمع له أو أى مشاكل نفسيه, فبدأت تصلى لأجله.

وبعد أيام قليلة إستدعاها قسم الشرطة للتعرف على حاجيتها, فقد تم القبض على اللص ووجدت ذهبها كما هو. فشكرت الله الذى يعطيها ليس فقط الروحيات و المساندة النفسية, بل أيضاً يعيد إليها ممتلكاتها المادية.

مرت الأيام و الشكر يزداد فى حياتها بدلاً من الحزن وقلبها

منشغل بالعطاء أكثر من الأخذ والإهتمام بالمحتاجين ، إذ كانت
تشعر بالمساندة الإلهية كل يوم.

وما أعجب ما حدث اليوم وهى فى عملها. لقد إكتشفت أن اللص
الذى تم القبض عليه, وحكم عليه بالسجن, يمت بصلة قرابة لإحدى
زميلاتها فى العمل التى كانت فى خوف وخجل من أن تظهر ذلك لها.
أسرعت إليها أختنا المباركة تتكلم معها فى هذا الموضوع,
وحاولت الزميلة إظهار عدم علاقتها بقريبها هذا, وأنها لاتعرف شيئاً
عن السرقة, ولم تقم بزيارتها أبداً.

فطمأنتها أختنا المباركة وقالت لها لا تخافى ، فليس لك علاقة
بالسرقة ولا تخجلى من هذا، فكل عائلة يمكن أن يحدث فيها ما حدث
ولكن قالت لها أن لى طلباً عندك فإندهشت الزميلة وقالت أطلبى ما
تريدى، قالت : أود أن تساعدنى حتى أزور قريبك الذى سرقنى.
فارتفعت كل علامات التعجب و الدهول

على وجه الزميلة, أما أختنا فقالت لها:

أنا أشعر أنه فى تعب نفسى شديد وأريد أن أقدم له محبة. وتحت الحاح هذه الأخت ساعدتها الزميلة. وفى زيارة المسجون الذى عندما عرف بشخصيتها, طأطأ رأسه فى خجل وحزن شديد. أما هى فأخذت تشجعه بأن الله مازال يحبه ويمكنه بالتوبة أن يستعيد علاقته به, وبعد فترة السجن, يعوض كل ما فات فى أعمال تفيده وتفيد المجتمع.

وزادت أختنا فى خدماتها بالكنيسة وخاصة لذوى الظروف الخاصة و النفسيات المحطمة. فتحركت ببذل يفوق العادة تقدم حباً وإهتماماً.

وتحولت حياتها من الحزن و الإنعزال, إلى حب فياض, واثقة بوجود إلهها معها, الذى إذا نسيها كل الناس فهو لن ينساها, بل فى أصعب الظروف يتجلى حبه وعمله فيها.

الفصل الثانى الله يدبر خلاصنا

أخطأ الإنسان وابتعد عن الله وانغمس فى شهوات كثيرة لدرجة أنه عبد المخلوق دون الخالق (رو 1: 25), أنا الله فلم يفتر عن محبته للإنسان, بل إنشغل بتدبير خلاصه ليعيده ثانية فيحيا معه ويمتعه بالفردوس والملكوت.

فحينما شعر أبوانا بالعري, ذبح الله لهم حيواناً وكساهما بجلده حتى يعلمهما أنه " بدون سفك دم لا تحصل مغفرة " (عب 9 : 22). وتعلم هابيل من أبيه تقديم ذبائح حيوانية ليرضى الله وهكذا نوح و إبراهيم وكل أولاد الله.

ودبر الله الخلاص من خلال أمثلة حية للفضيلة, ليقتدى بها
البشر مثل أخنوخ ونوح وإبراهيم...

وعندما إعوج الضمير - صوت الله داخل الإنسان - أرسل له
الوصايا و الناموس المكتوب بيد موسى ، حتى يرجع للحياة معه.

برغم أن الإنسان رفض الله كإله, لم يرفضه هو كشعب خاص
له. فأقام من إبراهيم ونسله شعباً خاصاً. بل وإن كان الإنسان لم
يحتفظ بأحضان الله كمسكن أبدى له, فقد سعى الله ليسكن وسط
شعبه. فأقام خيمة الإجتماع بين خيام إسرائيل ليحل فيها ويتكلم مع
موسى ويقود شعبه سنياً طويلة.

ولم يكتف الله بكل ما سبق, بل نادى بصوت واضح من خلال
أنبيائه القديسين على مر تاريخ العهد القديم, يدعوهم للتوبة و
الرجوع إليه و إنتظار الخلاص فى ملء الزمان, بتجسد الإبن الوحيد.

وأعطى رموزاً كثيرة لتجسده لتتعلق بها قلوب أولاده مثل
تابوت العهد المصنوع من خشب أى الناسوت و المغطى بالذهب

أى اللاهوت. وخيمة الإجتماع الثمينة جداً من الداخل (اللاهوت)
و ذات مظهر ضعيف من الخارج (الناسوت).
وأيضاً قسط الذهب وهو اللاهوت المخفى فيه المن المادى,
وهو الناسوت...

إن الله مشغول بخلاصنا, أما نحن فقد أنشغلنا بالخطية. كان الله
يريد أن يتجسد سريعاً ليفدى الإنسان, ولكن قساوة قلب البشر
ورفضهم الرجوع لله أجل تجسده. أما هو فلم ييأس من الإنسان,
وبمثابرة كثيرة أعد له طريق الخلاص والرجوع إليه.

وما زال الله يحبك ويطلب خلاصك, سواء بعطاياه الكثيرة السخية
أو بضيقات شديدة, لعلك تنتبه و تترك الشر الذى بين يديك, وتخضع
فتطيعه فيما طلب منك على فم من حولك.

لاتعانده فهو يحبك, ولا يوجد أحد مهتماً بك بهذا المقدار العظيم
مثله.

إن من اللائق أمام هذا التدبير المملوء حباً أن نشكره ونسبحه كل يوم. هذا هو سر توحيد الكثيرين في البرارى تفرغاً لتسبيح إسمه القدس. وهذا أيضاً سبب ترتيب الكنيسة للتسبحة يومياً شكراً لله على محبته.

إن من حقك أن تتمتع مع هؤلاء بتسبيح الله، فتنكشف عن عينيك تدابيره الكثيرة وخالصك كل يوم، فيزداد تعلقك به وهكذا ترى المسيح المتجسد دائماً معك، عاملاً في كل ما حولك ليرجعك ويحتضنك ولا يعود يخرجك أن كنت تريد.

ارتبطت هذه الطالبة بإحدى الكليات مع مجموعة من الطلبة والطالبات غير المسيحيين، وحاولت زملؤها المسيحيين، إقامة علاقة معها ولكنها تباعدت عنهم، وازدادت علاقتها مع غير المسيحيين وخاصة مع زميل محدد وكثرت تحركاتهما ووقفاتهما المنفردة حتى تواعدا على الزواج بعد حوالي عام عند تخرجهما.

لم يتركها الله بل سعى لخلاصها, فحاول بعض زملائها دعوتها للكنيسة أو الإجتماعات الروحية ولكنها أهملت كل وسائل الخلاص التي قُدمت لها.

زارها أحد الكهنة فى بيتها التى تقيم مع شقيقتها لأن والديها يعملان خارج مصر, وكان ذلك بإيعاز من زملائها ولكن للأسف كانت سلبية ولم تتجاوب مع زيارة الكاهن.

لم ييأس الكل من خلاصها, وإستمرت الصلوات مرفوعة من أجلها حتى ترتبط بالمسيح والكنيسة.

إنشغل الطلبة بالدراسة لينجحوا فى السنة النهائية وواجههم أحد العلوم الصعبة, فقرروا أخذ درس خصوصى فى هذا العلم. ونظم بعض الزملاء المسيحيون مجموعة مع مدرس متميز, وطلب هذا المدرس ضم مجموعة أخرى طلبت منه أيضاً درساً فوافق الزملاء المسيحيون.

وكان تدبير الله أن هذه المجموعة التي إنضمت هي التي كانت تضم هذه الطالبة المسيحية المتباعدة عن الكنيسة, وكان مكان الدرس في بيت إحدى الطالبات المسيحيات.

مع بداية هذا الدرس, بدأت علاقات محبة بين هذه الطالبة وزميلاتها المسيحيات وهن ينتظرن المدرس, والطالبة صاحبة البيت تقدم لهن الضيافة ويتجادبن الأحاديث الودية, أما الطلبة فينتظرون في الشارع حتى يصل المدرس.

وبعد مرور أسبوعين أصيبت هذه الطالبة بمرض ألزمها الفراش, فاهتمت زميلاتها المسيحيات بتوصيل الدروس التي يأخذونها مع المدرس وشرحها لها. فشكرتهم جداً.

وازدادت علاقات المحبة والصدقة حتى أن زميلاتها ساعدن في طهي بعض الأطعمة لها, وترتيب المنزل مع شقيقتها, وشراء بعض الأدوية القليلة التوفر بالصيدليات.

وفى نهاية فترة المرض بعد توطد الصداقة, سألت هذه الطالبة
زميلاتها عن الإجتماعات الروحية التى يحضرونها لإعجابها
بشخصياتهن ومحبتهن, ورغبت فى الحضور معهم أحد هذه
الإجتماعات.

بدأ حضورها الإجتماع الروحي والصلوات متزايدة من أجلها.
وتأثر قلبها بالكلام الروحي, فبدأت تراجع نفسها فى علاقتها بالشاب
غير مسيحي, وباستمرار حضورها الإجتماع, أحببت الكنيسة
وإرتبطت بسر الإعتراف مع أحد الآباء الكهنة وأحبته, وبدأ تناولها
من الأسرار المقدسة.

إقتنعت بضرورة إنهاء علاقتها مع هذا الشاب, تدريجياً تنقى
قلبها من كل الشهوات التى كانت فيها, وعند تخرجها إنتهت كل
الأمور السيئة.

زاد إرتباطها بالإجتماع الروحى, وأظهرت حباً وإنتظاماً شديداً
حتى أنها إنضمت للخدمة بهذا الإجتماع, وهى تحاول تعويض كل ما
فاتها و التجاوب مع الله الذى ناداها كثيراً قبل ذلك, وإستمر يطلبها
حتى وصلت إلى أحضان الكنيسة وتمتعت ببينوتها للمسيح.

الفصل الثالث المسيح يبادر إلينا

إن محبة المسيح قوية فبادرت إلينا بنزوله من السماء ، ولم ينتظر رجوعنا إليه ، لأن الخطية قيدتنا وإنغمسنا فيها ، فلم نعد قادرين على القيام منها. فمد يده إلينا ليرفعنا إليه. أخذ جسدنا ليعطينا روحه القدوس ، ويجدد طبيعتنا في سر المعمودية فنستطيع التقابل معه.

ورغم علو السماء عن الأرض ، وارتفاع عظمته و سمو بره عنا, لم يستنكف أن ينحدر إلينا لأن حبه كان عظيماً فأخترق كل الحواجز ... حواجز الخطيئة و العصيان و الرفض البشرى ليتقابل معنا على أرضنا ، مقدماً حبه كأنه يستجدي حبنا ، مع أنه الكامل في كل شئ.

لقد بادر في حبه نحو رجاله الأتقياء نوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى و كل الأنبياء.. فاجتذب محبتهم إليه ، وعمل بهم

ليقدم كل من خلالهم مبادرة حب لكل البشر المحيطين بهم.
محبتة العظيمة لم تخش رفضنا، فقد كان يعلم بسابق علمه كيف
سترفضه البشرية وتصلبه و تقتله ولم يؤثر هذا في شئ، وتقدمت
المحبة الإلهية تنادى الإنسان للرجوع إلى الله.
ونلاحظ إستمرار المبادرات الإلهية، ليس فقط في العهد القديم
قبل التجسد، بل بحلول الروح القدس فينا، صار صوته قوياً ينبهنا
في كل حين حتى نرجع إليه، وحينما نتغافل عنه، يفيض بتعزياته
الروحية التي نسميها زيارات النعمة، فيخرجنا بحبه لنقوم ونبدأ من
جديد.

ولا تعطل قساوة قلوبنا وخطايانا هذه المبادرات، فهذا شاول
الطرسوسى ينفث تهديداً لكل المؤمنين بالمسيح فى أورشليم والبلاد
المحيطة، وفيما هو منطلق للقبض عليهم فى دمشق، بادره المسيح
والتقاءه فى الطريق وحوله بالحب إلى بولس الرسول.
وموسى الأسود رئيس العصابة، يحرك قلبه بحثاً عنه، فيسأل
عن الله فى الشمس أو المخلوقات حتى تعرف عليه على يد رهبان
دير القديس أبو مقار.

ولانستطيع حصر مبادرات الحب الإلهى التى تحدث معنا كل يوم. فالمبادر هو القوى و المملوء حباً ولذا يستمر الله فى مبادراته بلا تعب, لأن كلة محبة فيسامحنا على خطايانا عندما نرجع إليه.

إذا ناداك الله للتوبة وصنع الخير, فلا تؤجل دعوته سواء كانت فى الكتاب المقدس, أو تعاليم الكنيسة, أو أب إترافك أو صوت الله داخلك بعد الصلاة أو على لسان أحد المحيطين بك. فهى فرص لخلص نفسك.

إن أنطونيوس العظيم أب جميع الرهبان, عندما سمع الإنجيل يُقرأ فى الكنيسة قائلاً بقم المسيح للشاب الغنى " إن أردت أن تكون كاملاً فإذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء, وتعالى إتبعنى " (مت19: 21). قال الكلمة لك يا أنطونيوس, و أطاع فى الحال وباع أملاكه وخرج ليتوحد.

و القديس أغسطينوس عندما قرأ سيرة الأنبا أنطونيوس أب
الرهبان, تأثر جداً وتجاوب مع هذه المبادرة الإلهية, فتاب
وتعمد بل وصار راهباً ثم أسقفاً.

إبتعد هذا الشاب عن الكنيسة ليجد راحه فى شهواته المختلفة,
شاعراً أن الحياة الروحية تمثل قيوداً لا يستطيع إحتمالها, لأن قلبه
قد تعلق بشهوات العالم.

إرتبط بأصدقاء السوء, وذهب معهم فى أماكن كثيرة بحثاً عن
الشهوات, وكان ينفق كل أمواله لإشباع رغباته الشريرة.

شعر مع الوقت بأن ما يكسبه من عمله لا يكف شهواته, فتذمر
على الله و على البلد التى يحيا فيها, متمنياً أن يحصل على أموال
أكثر لينطلق فى حريته الخاطئة.

بدأ يفكر فى الهجرة إلى إحدى الدول الأجنبية ، وبذل جهداً كبيراً
مندفعاً بضيقه من الفقر الذى يعانیه بسبب شهواته التى لا تنتهى.
إستطاع أخيراً أن يصل إلى إحدى البلاد الأجنبية المتقدمة ، وإنبهر
بمظاهر الحياة المبهجة وخاصة بالشهوات المتاحة فى كل مكان. و
حصل بعد فترة على عمل يوفر له إحتياجات الحياة.

أول ما فكر فيه بعد حصوله على المال هو البحث عن شهواته. فذهب إلى إحدى الملاهي الليلية, ليملاً عينيه بالشهوات الرديئة, وجلس على إحدى الموائد وأخذ يتطلع حوله باحثاً عن شهواته, ولكن لم يمر إلا وقت قليل حتى وجد إثنين قد إقتربا منه, وإستأذنا فى الجلوس معه على مائدته وتعرفا عليه, وعرف أنهما مسيحيان مثله وأخذا يسألانه عن علاقته بالكنيسة و هل إرتبط بها و تعرف على مكانها.

إندهش جداً فقد سد أذنيه لسنين طويلة عن سماع صوت الله, وسافر بعيداً فى مكان لا يعرفه فيه أحد, ليلهو كما يريد حيث تتاح الشهوات و المال أيضاً اللازم لها, ولكنه فوجئ بالله يبادر إليه ويسأل عنه حتى داخل مكان الشهوات.

أخذ الجالسان معه يحدثانه عن محبة الله الذى يطلب خلاصه, وعن أحضان الكنيسة التى تنتظره, وأظهر الشاب تعجبه من حضورهما إليه مع إنهما لا يعرفانه, فأعلناه أنهما خادمان الكنيسة وقد رأياه وحيداً ويبدو عليه أنه غريب عن المكان, فظنا أنه قد

يكون مسيحياً، فصلياً و أقبلًا عليه ليدعوانه للحضور معهما في كنيستهما.

لم يستطيع هذا الشاب أن يقاوم هذا الحب الإلهي العجيب. وبدأ يحضر الكنيسة وقدم توبة على يد الكاهن، وأحب المكان والحاضرين معه، وبدأت حياته تتغير لأنه ذاق حلاوة أفضل من حلاوة الشهوات، وهي محبة الله العجيبة.

مرت الأيام وهو يجاهد ضد شهواته و ينمو في إرتباطه بالكنيسة حتى إستقر روحياً ونفسياً، وصاحب ذلك تقدماً في أعماله وإستقراره المادى.

بدأ قلبه يتحرك نحو البعيدين الذين كان هو واحداً منهم، وشعر بمسئوليته أن يبادر بتقديم الحب الألهى لهم، كما تمتع هو بهذا الحب، ولاحظ الكاهن صدق محبته، فبدأ يوجهه للسؤال عن بعض النفوس البعيدة ليختبر عشرة أعرق مع الله، ويجذب نفوساً كثيرة للمسيح.

الفصل الرابع الحب المتنازل عن كل شئ

إن محبة مسيحنا المتجسد طلبت خلاصنا مهما كان الثمن, في
إستعداد للتنازل وخسارة كل شئ يربحنا بنينا له.

فلم يكن هناك طريق لخروج الإنسان من تحت سلطان الموت,
إلا أن يتنازل الله عن مجده السماوى ويأخذ طبيعتنا ويصير إنساناً
مثلنا, " لكنه أخلى نفسه أخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس وإذ
وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب
" (فى 2: 7-8).

إن هذا التنازل من السماء إلى الأرض يفوق إدراك الإنسان،
حتى أن بولس الرسول يسميها في رسائله " المحبة الفائقة
المعرفة " (أف 3: 19). و القديس يعقوب السروجي من العراق
يعلن في كتاباته تعجب السمائيين قبل الأرضيين من هذا التنازل
الإلهي العجيب في التجسد.

لقد تخطى عن العرش الإلهي وتسييح الشاروبيم وكل الأجناد
السماوية ، ليولد في مذود كإنسان حقير.

كيف يصير الخالق في صورة المخلوق و الصانع في صورة
الماديات التي يصنعها؟!!

إنه أمر يفوق العقل. وزاد هذا التنازل أنه لم يولد إنساناً عادياً
بل ولد فقيراً جداً وفي مكان لا يمكن لإنسان أن يولد فيه، وهو حظيرة
مواشى.

كان يتجه بسيارته نحو المدينة بعد أن أنهى عمله فى أحدى القرى. وكان الليل قد أقبل, فأسرع يشق طريقه ليصل إلى مكانه ويستريح بعد تعب يوم طويل.

وفىما هو يسير فى أحدى الطرق الزراعية الصغيرة, توقفت

سيارته و نزل محاولاً إصلاحها, ولكن بعد مدة طويلة فشلت كل محاولاته, وأخذ يبحث عن أى شخص يساعده فلم يجد. فنادى فى كل إتجاه ولم يرد عليه أحد. فتضايق جداً خاصة وأن جسده بدأ يرتعش من برودة الجو, إذ كانت إحدى ليالى الشتاء الباردة.

أخذ يفكر كيف سيقضى ليلته.. هل داخل السيارة, ولكنه خاف من هجوم اللصوص عليه, أو إلى أين يذهب وهو لا يعرف شيئاً بهذا المكان.

أخذ يتطلع يميناً ويساراً بحثاً عن أى شخص ينجده, فاسترعى نظره نوراً صغيراً عن بُعد, فقرر أن يسير نحوه لعله يكون أحد بيوت الفلاحين, فيصلطد فوه هذه الليلة.

بعد أن سار مسافة طويلة وقدماه تتعثران بالظلام الدامس, إقترب من هذا النور ولكنه إشتم رائحة كريهة, وعندما فتح الباب فوجئ أنها حظيرة مواشى, ولم يستطع البقاء داخل المكان فخرج ووقف خارجاً بل إبتعد قليلاً عن الحظيرة فواجهته

لسعات البرد وأنتابه سعال شديد, فحاول الإقتراب ثانيةً لبييت داخل هذه الحظيرة ولكن رائحتها كانت فوق إحتماله, إذ لم يتعود رجل المدينة أن يوجد فى مكان مثل هذا, فكيف يبيت فيه؟

وإذ خرج وهو محتار, تذكر أنه فى إحدى ليالى الشتاء, كان رب المجد يسوع المسيح داخل حظيرة مثل هذه, ومعه أمه العذراء مريم و القديس يوسف النجار,

وكيف رضى أن يوضع جسده المقدس فى مذود البقر.
كيف إحتملت يا إلهى هذا الهوان, أنت الذى ترتعد الملائكة من
بهاء مجدك, وتغطى وجوهها من نورك العظيم. هل كل هذا لأجلى أنا
الخاطئ الحقير؟؟

والأكثر من هذا أنه لم يرض فقط أن يصير إنساناً بل إحتمل
إهانات لا حصر لها وإتهام بالشر و التجديف, بل وصفوه أنه عميل
لرئيس الشياطين عندما كان يخرجهم ويريح البشر أولاده.
ثم وضع كل خطايا البشرية على رأسه, فصار مرذولاً ومهاناً
على الصليب لأجل حبه فىنا.

عندما تقترب إلى الكنيسة والأسرار المقدسة, أنظر تنازل سيدك
ليكون ملموساً لك, حتى يتحد بك ويسندك ويرفعك فوق كل ضعفات
العالم.

إنك أعلى ما في الوجود في نظره, وثمانك هو دمه المسفوك
على الصليب. إنه يحبك فهل تقدر محبته؟؟

الفصل الخامس الإقتراب بلطف

رغم أن الإنسان رفض الله في جنة عدن، وظل يرفضه بخطاياها
وإنغماسه في الشهوات وعصيانه لوصاياها، بحث عنه الله بحنان،
فتجسد ليخلصه من كل أتعابه وإقتراب إليه بلطف حتى لا ينزعج
الإنسان من عظمة الله ورهيته.

وعندما تجسد وُلد في مزود حقير كطفل صغير يحمل كل البراءة
والبساطة حتى لا يخاف الرعاة أن يقتربوا إليه، لدرجة أنه من فرط
إتضاعه لم يشعر به معظم الساكنين في بيت لحم، ولكنه ثبت على
لطفه رفقاً بالإنسان الضعيف.

وعندما زار مصر هرباً من وجه هيرودس، تنقل بهدوء في
أراضيها ليباركها ولم يظهر غضبه على عبادتها الوثنية وشرورها

وكبريائها. وبهذا حولها إلى أرض مقدسة إمتلأت بعد ذلك بالكنائس
و الأديرة لتمجيد إسمه القدوس.

وفي تبشيريه جال في كل مكان يصنع خيراً، يعلم تعاليم المحبة و
يعطى أعماقاً جديدة للوصايا، ويشفى المرضى ويخرج الشياطين من
المعذبين بها، يحنو على الأطفال، ويزور البيوت ليباركها ويشبع
الجموع الجائعة ويتحنن على المحتاج.

وفي رفق شديد إقترب من الخطاة ليعلن محبته و غفرانه لهم.
فها لو يقدم ليس فقط الشفاء للمفلوج الذي يحمله أربعة بل غفران
خطاياها. و التي أمسكت في زنا يسامحها ويبعد عنها من يريدون
رجمها، أما السامرية فقد سار ساعات طويلة ليصل إليها عند البئر
ويحولها من الخطيئة إلى التبشير بإسمه، ويعلن لها باتضاع بهاء
الحياة الجديدة معه. وزكا مثال الشر يدخل إلى بيته ويطلب خلاصه
هو وكل العشارين.

أما متى فدعاه من مكان عمله فى جمع الضرائب حيث يقسو
على الناس و يستغلهم, وأخرجه بلطف ليس فقط ليترك خطاياهم بل
يصير تلميذاً له.

إنه يقترب إليك كل يوم بعطايا كثيرة لعلك تشعر به, ويعطيك
راحة و طعاماً للجسد وكل إحتياج مادي. ولا يتوقف عن ذلك لأجل
خطاياك, فيظل يقدم حبه ليخجلك و تنتبه فتعود إليه.

وإن نسيته فى زحام الحياة, يظل يناديك كأنه محتاج إليك مع
أنك أنت المحتاج إليه.

وإن نسيك الجميع, فهو لا ينساك ويعلن لك نفسه فى كلمات
لطيفة على أفواه بعض المحيطين بك حتى ولو كانوا أطفالاً صغاراً,
ويدعوك للحياة معه ليس فقط عندما تدخل الكنيسة, بل أينما سرت
ليذكرك بنفسه ولو بكوب ماء, أو مكان لتجلس وتستريح, أو ظل من
الحر أو نسمة هواء تنعشك...

إنه يحبك وينتظر تجاوبك مع حبه ولو بكلمة شكر. وفي كتاب الأجيبة تجد مزامير شكر كثيرة تستطيع أن تقدمها لله كل يوم, أما تسبحة الكنيسة فامتألت بمشاعر الفرح والتمجيد لله على عطايها, لتشارك فيها مع كل المؤمنين الشاكرين المتمتعين بالوجود مع الله.

وإذ تجد نفسك محاطاً بلطفه من كل جانب, لا تستطيع إلا أن تكون لطيفاً مع كل أحد, لأن ضغوط الحياة صعبة و الإنسان بطبيعته محتاج للتقدير والتشجيع صغيراً كان أو كبيراً فى كل وقت وخاصة وقت الضيقات.

إن لطفك قادر أن يسعد قلوباً كثيرة, فاقترب إليهم فهم ينتظرون محبتك.

أما الغاضبون و الثائرون ومن يسيئون إليك فهم أحوج الناس إلى لطفك ومباركتك لهم "أحبوا أعدائكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيك وصلوا لأجل اللذين يسيئون إليكم ويطردونكم " (مت 5: 44).

لأنه من كثرة مشاكل الحياة ولإبتعادهم عن الله لا يقدر على احتمال ظروفهم, فيغضبوا ويسيئوا للناس. فهم محتاجوا إلى قطرات حبك لتلطف إشعالهم الداخلى. لا تستهن بما تقدمه لهم من حنان

حتى وإن رفضوه من كثرة همومهم, فهو يؤثر فيهم ويمتص متاعهم ويعيدهم إلى سلامهم, وإن بدت قلوبهم صخرية معاندة, فاعلم أن قطرات المطر النازلة بمداومة على الصخر, قادرة أن تشق طريقاً فيه هو مجال الأنهار الكبيرة مثل نهر النيل.

إن لطفك أقوى تأثيراً وأسرع وسيلة لتوصيل أفكارك الحسنة إلى الآخرين, وليس كما تظن القسوة و العنف, لأنه إن احتملوك زماناً لكن قلوبهم ترفض تعاليمك المغلفة بالقسوة, وفي أول فرصة يستطيعون التحرر منها سيرفضوها. أما لطفك فإنه يدوم تأثيره داخل نفوسهم ويتكامل حتى يتحقق كل ما تشتهيهم لهم.

أخيراً دعنى أهمس فى أذنك: إنك عندما تقدم لطفاً لمن حولك فانت المستفيد الأول منه. إذ يمتلئ قلبك بالحنان و السلام كلما قدمت حباً للآخرين, فتتمتع براحة تمكنك من الإنطلاق فى صلوات و علاقة قوية مع الله تزيدك لطفاً مع الآخرين.

إن اللطف ثمرة من ثمار الروح القدس الساكن فيك, وهو مستعد أن يعطيها لك إن كنت تتضع وتحاول الإحساس بمن حولك وتطلب معونة الله في كل موقف.

تأمل كل يوم المسيح المتجسد في حبه عند إقترابه من أرضنا, ليعمل فيك فتصير صورة حية له مع كل من تقابله.

كان هذا الشاب يعاني من مشكلة جسدية و هي أن أحد رجليه أقصر من الأخرى, مما كان يظهر واضحاً أثناء سيره. وقد أثر هذا عليه نفسياً وكنمه في قلبه فكان يشعر بالضعف و العجز, وأنه أقل ممن حوله رغم أنه نجح في دراسته وإشتغل في عمل مرموق.

كانت علاقته بالكنيسة محدودة لإنشغاله الشديد بعمله الذي يحاول أن يثبت وجوده وتميزه من خلاله, بل وتفوقه عن حوله ليعوض النقص الدفين في داخله.

ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان, إذ مرت البلاد بأزمة إقتصادية, وبدأت الشركات تضغط مصاريها وتستغني عن بعض العاملين بها رغم كفاءتهم, فإستغنت الشركة التي يعمل بها عنه وأعطته مكافأة مناسبة.

فأغلق على نفسه حجرتة, وقد انفجر بركان معاناته بنقصه بسبب هذا الحدث, إعلاناً أمامه أنه فاشل وغير قادر على مواجهة الحياة. ودخل في إكتئاب شديد وإبتعاد عن الناس وميل للتخلص من الحياة.

حاول أهل بيته وأصدقائه ومعارفه تشجيعه للخروج من هذه الأزمة, ولكنه أصر على الرفض لأن معاناته النفسية التي كبتها سنياً طويلة سيطرت عليه, والأمل الذي تعلق به لإصلاح مشكلته وهو النجاح في العمل قد ضاع منه.

رفض التقديم في أعمال أخرى وأى مشورة للخروج من أزمتة. مرت الشهور والحالة تزداد سوءاً وتفرق عنه الأصدقاء و المعارف بعد أن شعروا أن محاولاتهم كلها تبوء بالفشل. وإستمر يسجن نفسه في بيته حتى قارب أن يكون له سنتان في هذا الحصار الأليم.

إلتجأ أخوه لأحد الآباء الكهنة وأخبره بالقصة وطلب مساعدته بأن يزورهم ويحاول التأثير عليه, وإستأذنه أنه لن يعطى خبراً لهذا الشاب بزيارة الكاهن لأنه رفض قبلاً أن يزوره أحد, وعندما ضغطوا عليه قبلاً لمقابلة أحد الكهنة تضايق جداً وأظهر غضباً شديداً بعد إنصراف الكاهن بالإضافة لرفضه أى علاج نفسى.

حدد الكاهن ميعاد لأخيه, وفى صباح هذه اليوم صلى قداساً وطلب معونة الله فى هذه الخدمة, وذهب للزيارة, ولكن عندما علم الشاب بحضور الكاهن رفض الخروج من حجرته ليقلبه. وظل أهل بيته يحاولون إقناعه, فغضب بشدة وتعالى صيحاته مصراً على عدم مقابلة أحد حتى لو كان المسيح نفسه.

بعد فترة إستطاعوا إقناعه أن يقابل الكاهن ولو لمدة دقيقة ويتركه تقديراً لتعب هذه الكاهن وإهتمامه. فخرج إليه عابس الوجه وصافحه بجفاء, أما الكاهن فقلبه بإبتسامة وترحيب وكلمات لطيفة بل بدأ يحدث عن محبة الله له وقدرته على إصلاح كل ما يعانىه, أما الشاب فقد رفض بشدة كلام الكاهن قائلاً إن هذا كلام تحفظونه وليس له أى معنى فى الحياة العملية ثم تركه ودخل حجرته.

وضع الكاهن إسمه على المذبح فى صلوات كثيرة وطلب من المحبين الصلاة معه. وبعد فترة قليلة أقبل عيد الميلاد المجيد, فأرسل كارت معايدة لهذا الشاب الذى بعدما قرأه مزقه بغضب رافضاً أن يسأل عنه أحد.

إستمر الكاهن فى صلواته وبعد حوالى شهر علم من أخيه أن عيد ميلاده بعد أيام, فأرسل إليه هدية صغيرة و عندما أعطاها له أخيه ألقاها جانباً وهو يتساءل بضيق وتعجب لماذا يهتم بى هذا الكاهن قائلاً: فليتركنى وحدى فى يأسى, لا فائدة من محاولاته ومحبته ولطفه, فليعطها لآخرين يمكن أن يستفيدوا منها.

لم ييأس الكاهن واثقاً من قوة الصلاة و المحبة الإلهية. فكان يرسل كل بضعة أيام تحياته له على فم أخيه و الشاب يظهر عدم إهتمامه وإن كان قلبه قد بدأ يتأثر بهذا الحب ورقة المشاعر التى يظهرها الكاهن.

فوجئ هذا الشاب بعد حوالى شهرين بألم شديد فى أمعائه, وعند عرضه على الطبيب قرر فوراً إجراء جراحة لإستئصال

الزائدة الدودية, وعلم الكاهن فأسرع لزيارته ولم يرفض الشاب هذه المرة أن يدخل إليه حجرته, وصلى له الكاهن ورشمه بالزيت فشكره الشاب وتأسف له, أما الكاهن فلم يدعه يكمل إعتذاره وسأله هل يوافق أن يحضر إليه مره ثانية ليتناول من الأسرار المقدسة, ولم يستطع الشاب أن يصد تيار الحب الفائض من هذا الكاهن حوله فوافق.

وفى الزيارة التالية وقبل أن يتناول من الأسرار المقدسة شجعه الكاهن أن يعترف بخطاياها, وإستسلم الشاب لهذا الحب الغامر وبدأ يعترف بخطاياها فى التذمر ورفض الله واليأس, وإساءاته لكل من حوله وللکاهن أيضاً, وكذا بكل خطاياها... وسالت دموعه بغزارة, أما الكاهن فكان يشجعه بكلماته الرقيقة مؤكداً فرح السماء والأرض بتوبته. وبعد تناوله من الأسرار المقدسة, بدأت الإبتسامه تعود إلى وجهه.

أخذ الشاب يتعافى وتتقوى صحته وأثناء فترة النقاهة كان الكاهن يتصل به تليفونياً, وبدأت علاقات محبة وتفاهم مما

شجع الكاهن على زيارته فى منزله مرة أخرى.

حاول الكاهن أن يخرج هذا الشاب من عزلته, وإكتشف أثناء حديثه معه أن معلوماته عن الكمبيوتر ليست بقليلة, فطلب مساعدته فى إدخال وترتيب بعض البيانات التى يحتاجها الكاهن. فوافق الشاب تحت ضغط الحب و الإلتضاع الذى أظهره الكاهن فى إحتياجه لمساعدته.

أخذ الشاب يتردد على الكنيسة للقيام بهذه الخدمة, مما أعطى فرصة للكاهن أن يشجعه على حضور القداسات و التناول, بل إستطاع أيضاً أن يقنعه بحضور أحد الإجتماعات الروحية.

وتحسنت نفسية هذا الشاب, وبتشجيع الكاهن بدأ يقدم فى شركات مختلفة للحصول على وظيفة, وأنعم عليه الله بعمل مناسب مما ساعد على خروجه من متاعبه الدفينة, ونجح فى عمله وتميز بسرعة ولكن هذه المرة لم ينسَ علاقته بالله وتمسك بالكنيسة وإجتماعها وخدمته.

بدأ يتعرف على زملائه فى الإجتماع وهو يشعر بفضل الله العجيب عليه بإخراجه من أزمتة المميتة, إذ كان يشعر أنه قد ولد من جديد و الفضل يرجع لرقة ولطف أبيه الروحى.

شعر هذا الشاب بمسئوليته عن كل إنسان يعانى من ضيق, فارتسمت الإبتسامة على وجهه دائماً بل بدأ يبادر بالكلمات الطيبة لكل من يقابله حتى صار من أحب الشخصيات فى الإجتماع الذى يحضره, وأيضاً فى عمله. وأرشد الله لأخت مباركة تحضر معه الإجتماع فتزوجها وكون أسرة سعيدة تشع الحب واللفظ حولها دائماً.

الفصل السادس المشاركة

عندما خلق الله الإنسان أراد أن يشركه معه في صداقة وحب. ولكن آدم وحواء رفضوا هذه الشركة العظيمة طالبين معرفة غريبة عن الله وهي معرفة الشر، فإنفصلوا عنه وإحتملوا كل آلام الإنفصال من عدم وجود بركة وفقدان للإحساس بالله بل وحكم الموت أيضاً. ورغم عصيان الإنسان وجحوده لم ترضَ محبة الله أن تتركه، فسعى نحوه بالتجسد ليس فقط بمناداته أن يرجع إليه كما حدث في جنة عدن وطوال العهد القديم، ولكن بطريقة جديدة أكثر تأثيراً من كل ما سبق بأن إشتراك مع الإنسان في اللحم و الدم.

وصار إنساناً مثلنا ليقترّب إلينا ويقربنا له ويكسب محبتنا
فيعيدنا إليه.

وهكذا أصبح الله ليس غريباً على الإنسان, ووصاياه قابلة
للتنفيذ لأن المسيح يحيا بين البشر كإنسان كامل, يتكلم معهم ويشعر
بمشاعرهم وبذلك جعل الإثنين واحداً ونقض الحاجز المتوسط
والعداوة القديمة في تجسده بإتحاد اللاهوت والناسوت. وبالتالي
صار من السهل أن يتألف البشر معه في محبة ودالة نشجعهم على
الحياة معه.

وإشترك أيضاً مع الإنسان في معاناته وحرمانه, إذ ولد فقيراً في
مزود البقر وعاش كإبن لنجار فقير, وطوال حياته لم يكن له أين
يسند رأسه.

وشاركنا أيضاً فى إحتمال الآلام والإضطهادات فهرب من وجه هيرودس وهو طفل إلى مصر, وإحتمل رفض الكثيرين له ليس فقط فى طفولته بل عندما بدأ التبشير, وغار منه الكتبة و الفريسيون والكهنة والصدوقيون, وقاوموه بكل عنف وحاولوا قتله مرات كثيرة حتى تمموا شرهم فى النهاية بتعليقه على الصليب.

لقد فعل كل هذا من أجلنا ليشعرنا أنه معنا يعانى الآمناء ويشعر بأدق وأصغر متاعبنا, فنستريح ونلجأ إليه واثقين من محبته وإحساسه بنا. وقد أعلن بولس الرسول بوضوح مشاركة المسيح لنا فى التجارب حين قال " لأنه فيما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين " (عب2:18).

فإنه يريد أن يشترك معك فى كل خطواتك, ولذلك أعطاك روحه القدس ليسكن داخلك سكنى دائمة ويتكلم على فمك عندما تتكلم " لأنى أنا أعطيتكم فماً وحكمةً لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها " (لو21:15).

هو يريد أن يكون معك, ولكن هل تريد أنت أيضاً أن تكون معه؟؟ الله يسعى لمشاركتك, وتستطيع أن تتمتع بهذه الشركة إن تجاوزت معه سواء في الإتحاد به عند تناولك من الأسرار المقدسة أو في صلاتك, و عند قراءتك كلامه المقدس وعند دخولك إلى بيته...
الله ينتظر منك سعياً نحوه في كل الممارسات الروحية وعلى قدر ما تسعى ستجده فياضاً عليك بالحب ويطمئن قلبك لأنه يعمل فيك دائماً و أيضاً على قدر ما تتضع يعطيك الرب نعمة. فقد قالت أمنا العذراء " أنزل الأجزاء عن الكراسى ورفع المتضعين " (لو 1: 52).

وعندما يتفرق عنك كل أحد لن يهتز قلبك لأنه معك, بل تتمتع بلذة أكبر لأنك تنفرد به وتتمتع بحب خاص معه. وكلما خرجت تبحث عن راحة إخوتك في خدمات كثيرة,

ستجده عاملاً معك وفيك فتختبره إختباراً جديداً، وتفرح بعشرته
كما قال بولس الرسول عن نفسه هو وأبلوس " نحن عاملان مع الله
" (1كو3:9).

تخرج من كلية الهندسة وتم تعيينه مهندساً للرى فى إحدى
القرى. كان خادماً يتصف بالحب والإحساس بالآخرين فاهتم بتكوين
علاقات محبة مع أهل القرية. ولاحظ معاناتهم من الفقر الشديد،
فالرقة الزراعية صغيرة ومعظمهم أجراء، فبدأ يفكر كيف يساعدهم.
بدأ يشجعهم على عمل مشاريع صغيرة مقدماً لهم مبالغ محدودة
من المال الذى إستطاع أن يجمعه من تبرعات حصل عليها من
أحبائه فى القاهرة. وبدأوا مشاريع لتربية الدواجن بأنواعها
المختلفة وتربية النحل. كما شجع بعض زملائه على إستثمار
أموالهم فى تربية الحيوانات من الأبقار و الجاموس.

فيشارك الفلاح في تربيتها ليحصل على مبلغ إضافي يساعده على المعيشة.

وقام هذا الخادم بمجهود في توزيع إنتاجهم من الزبد والجبن و الدواجن فتحسنت حالة الكثيرين.

ومن أستطاع أن يجيد مشروعه الصغير طلب منه هذا المهندس أن يساعد ويرشد إخوته في القرية, ليحسن حالة معظم سكانها ويخلق جو من الشركة و الحب بينهم. فصاروا كأسرة واحدة مترابطين وكان مثلهم العملى واضحاً في الحب والمشاركة وهو هذا الخادم.

لم يكن في هذه القرية كنيسة فأقنع الخادم الفلاحين بعمل إجتماع روحى في أحد بيوتهم وكان يصلى معهم ويقرأ الكتاب المقدس ويحدثهم في كلمة روحية حسبما يرشده الله.

بدأ هذا الإجماع صغيراً تحضره بضعة أسر ولكن مع الوقت
ضم كل المسيحيين بهذه القرية, فزاد هذا من ترابطهم ومحبتهم.
عاشت القرية فى محبة وإرتفعوا فوق المشاكل الشخصية بينهم
بمساعدة هذا المهندس الذى إهتم بالمصالحات بينهم بل دعوتهم
لمساعدة بعضهم, فمن معه ينبغى أن يعطى من ليس له. وهكذا صار
دفاء الحب فى قلوب الكل.

وفى إحدى السنين عندما هبت رياح الخماسين الشديدة, هدمت
خمسة من بيوت الفلاحين وتدمرت ممتلكاتهم البسيطة ولكن بنعمة
الله نجا الكل من الموت. فأسرع المهندس يشجع أهل القرية للتبرع,
حتى يساعدوا إخوتهم الخمسة فى بناء بيوتهم بالإضافة إلى إشراك
كل صاحب حرفة منهم فى هذا البناء و تكوين الأثاث لهذه البيوت
التي تدمرت. كما إهتم بجمع التبرعات من القاهرة وتم بناء بيوت
جديدة وتدبير الأثاث المطلوب. واجتمعت القرية كلها فى إحتفال
شعبى فرحين بهذا الحب الذى إشتراك فيه الكل مسيحيون
و مسلمون وهم يشعرون أنهم أعضاء فى عائلة واحدة.

ومن الأمور الجميلة أنه كان يوجد فى هذه القرية رجل غنى و لكنه يتصف بالبخل وإبتعاده عن مساعده أى محتاج. فعندما تدمرت هذه البيوت تحرك قلبه أخيراً أمام هذا الحب الذى غطى القرية, وإندفاع كل إنسان فى تقديم ما يستطيعه لإحيائه المنكوبين, فشارك هو أيضاً ببعض المساعدة المادية.

وفى هذا الإحتفال تشجع أحد الفلاحين وسأل المهندس: إلى متى لا يكون عندنا كنيسة؟ نريد أن نبني كنيسة ونشترك كلنا فى إقامتها, كما إستطعنا بقوة الله أن نبني هذه البيوت الخمسة.

ووافق الحاضرون بل أخذوا ينادون مؤيدين هذا الإقتراح بكل قلوبهم وإستعدادهم لبذل كل شئ حتى يكون لهم كنيسة, خاصة وأن أقرب كنيسة لقريتهم كانت تبعد عنهم مسافة ليست بقليلة.

ومن الأمور المفرحة أن إخوانهم المسلمين أظهروا تأييداً لهم
وإستعداداً للتعاون, حتى يكون لهم مكان للعبادة مثلما لهم هم أيضاً.
وأمام تيار الحب الدافق, وقف الرجل الغنى وأعلن تبرعه بقطعة
أرض من ممتلكاته, فزادت الصيحات فرحاً وشكراً لله ولهذا الغنى
الذى تغير تماماً. وقرروا البدء فوراً فى إقامة الكنيسة.
كونوا مجموعة منهم لجمع التبرعات من سكان القرية وتنظيم
عملية البناء تحت إرشاد هذا المهندس الذى ساعد أيضاً بجمع
تبرعات من كل أحبائه وزملائه, وبدأ العمل وأستكمل فى فترة
قصيرة إذ كانت تدفعه شركة الحب التى ربطت الجميع .

ذهب الخادم ومعه مجموعة من أهل القرية إلى أسقف الإيبارشية, يبشرونه بإتمام بناء الكنيسة التي إستأذنوه قبلاً فى إقامتها وفرح بهم وهنأهم, وطلبوا منه سيامة أو إنتداب كاهن للصلاة بها.

نظر الأسقف بعمق نحو الخادم الذى كان يعرف تاريخ أعماله ومحبه داخل القرية وقال له لماذا لا تكون أنت هو الكاهن؟ وأعلن المجتمعون فرحتهم وتمنياتهم بذلك, أما الخادم فأعلن عدم إستحقاقه لهذه الرتبة العظيمة, فشجعه الأسقف.

سرى خبر نية الأسقف فى سيامة هذا المهندس فى القرية, فامتألت القلوب فرحاً. وإنتدب الأسقف كهنة البلاد المحيطة للصلاة مؤقتاً بالكنيسة الجديدة حتى تم زواج هذا المهندس ثم سيامته بعد شهور قليلة على كنيسة القرية, التى إشتهرت بين كل قرى الإيبارشية بالحب والشركة .

الفهرس

رقم الصفحة

5	مقدمة
9	الفصل الأول : الله يشعر بنا
19	الفصل الثانى : الله يدبر خلاصنا
27	الفصل الثالث : المسيح يبادر إلينا
33	الفصل الرابع : الحب المتنازل عن كل شئ
39	الفصل الخامس: الإقتراب بلطف
51	الفصل السادس: المشاركة

صدر للمؤلف

- 1 - تفسير سفر طوبيا (نفذ)
- 2 - تفسير سفر يهوديت (نفذ)
- 3 - تفسير سفر الحكمة على ثلاثة أجزاء (نفذ)
- 4 - معاً كل يوم (تأملات وقرارات يومية) وهو فى ثلاثة أجزاء تغطى السنه
- 5 - تدبيرك فاق العقول (قصص واقعية معاصرة) (نفذ)
- 6 - إنسان القيامة (نفذ)

سيصدر قريباً كتاب " الموسوعة الكنسية " وهو تفسير كامل للكتاب المقدس لكل آية و كلمة مع تأملات روحية للتطبيق وتداريب عملية. إشترك فى إعداده مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة.

وسنبدأ بتفسير العهد الجديد فيصدر فى خمسة مجلدات, كل مجلد حوالى خمسمائة صفحة, يصدر كل جزء بعد بضعة شهور من السابق ثم يبدأ صدور العهد القديم.